شهدت مداخلات ساخنة للمشاركين..

فعالية شعرية حول قصيدة النثر لأدباء الجنوب في عدن

تقرير/ علاء عادل حنش:

نظم اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة الجنوبية عدن أمس الأول الأربعاء فعالية ثقافية تحت عنوان: «ملتقى قصيدة النثر» في مقر الاتحاد بمديرية خورمكسر في عدن.

وبدأ مجريات الفعالية الأستاذ طه علي أبو فول، الذي أدار الفعالية بكل اقتدار، بالقول إن: «إقامة هذه الفعالية لفتة جميلة من اتحاد أدباء وكتاب الجنوب عدن، الذي عودنا على مثل هذه الفعاليات، والتي يحاول من خلالها أن يغرس الثقافة والعلم والاجتهاد في صفوف الشباب».

وأضاف: «حقيقةً أن هذه الفعاليات مهما تكنْ صغيرة أم كبيرة، حيث تستطيع أن تثير في نفوس الكثير من الإبداعات والحركة رغم ما يمر به العالم العربي من متغيرات وإشكاليات ومن صراعات، وتبقى هذه شمعات قوية تضيء هذا الليل الحالك في الثقافة العربية عمومًا واليمن بشكل خاص».

وتابع: «موضوع فعالية اليوم قصيدة النثر، وكما هو معروف لدى الجميع وخاصةً المتخصصين أن قصيدة النثر هي نمط حديث، لكن أود أن أشير إلى ملاحظة في الواقع العربي الثقافي وهذه الواقعة ربما تكون شبه كارثية، وهي أن المنطق الثقافي العربي لا يقبل الجديد في البداية، ويرفض بتمرد شرس، ثم يقبل بعد ذلك، وعندما يأتي جديد آخر يتمرد، وهكذا».

واستطرد: «الواقع العربي الثقافي لا يستطيع أن يستوعب المتغير بشكل سريع، فنحن للأسف نتأثر بالجانب المادي أكثر من تأثرنا في الجانب الثقافي، فأي شيء يأتي من الغرب ماديًا يصبح عندنا يُتداول بشكل سريع، لكن ما يأتي من الثقافة الغربية يتأخر وإن كان مفيدًا».

وأشار أبو فول، في ختام حديثه، إلى أن «قصيدة النثر هي قطعة نثر غير موجودة، وتأتي القافية فيها في مناطق مختلفة من الأبيات، وتحمل صورًا ومعان شاعرية، وأغلبها تكون ذات موضوعٍ واحد».

بعدها، ألقى خمسة شعراء — من عدن — قصائد نثرية نالت استحسان الحاضرين هم: (عمرو محمد عقيل، مازن توفيق، أمين الميسري، صابرين الحسني، إيمان خالد).

بدوره، تحدث الشاعر شوقي شفيق عن حركة الحداثة في عدن، بالإضافة إلى وضعه ملاحظات على القصائد التي ألقيت، حيث قال إن: «كل حداثة في الجنوب انطلقت من مدينة عدن».

وأضاف: «سنعود قليلا إلى الخلف، وتحديدًا إلى ستينيات القرن الماضي، سنرى أن ثمة شعراء كانوا هم المؤسسين لحركة الحداثة في عدن... ولعل أبرزهم:عبد الرحمن فخري ؛ إذ يعد أحد عمالقة ورواد ومؤسسي قصيدة النثر في عدن».

وتابع: «عبد الرحمن فخري كان البوصلة التي كنا، نحن جيل السبعينيات، نمتحوا من إبداعها، وعلمنا كثيرا من الشعر والإبداع والحداثة».

واستطرد: «أيضًا يصعد إلى سلم الحداثة أسماء أخرى؛ لكنها لم تكتب قصيدة نثر، حيث كتبت قصيدة جديدة لكنها ليست قصيدة نثر».

وأكمل: «في الحقيقة أنا أمجُ هذه التسميات أو هذه التصنيفات، فلم يعد لها من فائدة أو جدوى، أن نتحدث عن التجنيس أو لنقل (قصيدة تفعيلية أو قصيدة بيتية أو قصيدة نثر)، لكن أفضل أنا أقول (القصيدة الأجد) كما سماها شاعرنا الكبير عبد العزيز المقالح».

وقال شوقي إن: «القصيدة الأجد هي القصيدة التي تنطلق إلى آفاق الحداثة والإبداع، وهنا نذكر أسماء كـ (فريد بركات، وزكي بركات، وعبد الرحمن فخري...) ويأتي بعدها أسماء من جيل السبعينيات، وأذكر من كتاب قصيدة الأجد (عبد الرحمن إبراهيم، ومحمد حسين هيثم كان كتب قصيدة الأجد في نهاية السبعينيات، وكان أهم من كتب قصيدة النثر، ومحمد حسين هيثم تجربة فريدة، ونسيج لوحدها فعلًا».

وأضاف: «ومحمد حسين هيثم لم، ولن يوجد لهُ مثيل — على مدى الخمسون عامًا القادمة قد لا نجد مثله —».

وتابع: «الأصوات التي سمعناها اليوم من الجيل الحالي، هي من عقود مختلفة، فأمين ميسري من الثمانينيات وعمر ومازن من التسعينيات، ومن الألفيين إيمان وصابرين، وإن تحدثنا عن تجارب هذه الأصوات التي استمعنا إليها اليوم؛ فهناك شيء يميز كل صوتٍ عن الآخر».

واستطرد: «هناك تشابه وتقارب بين أمين ميسري وإيمان خالد مع فارق أن إيمان تغلب عليها السردية القادمة من القصة القصيرة».

وأشار شوقي إلى أن: «مازن توفيق لديه قدرة على الاحتفاء بالصورة، ويعتمد في كتابته على الصورة، وهذا ما يصرح به دائمًا، ويؤكد على شعرية الصورة، وأن الشعر هو صورة، والقصيدة هي صورة، وأتفق معه تمامًا؛ لكن أرجو منه الاعتناء باللغة والنحو لصارت القصيدة عنده من أجمل ما يمكن».

وواصل: «أما صابرين الحسني فشهادتي فيها مجروحة، ولكنني أؤكد أن خطاب صابرين الشعري خطاب خاص من حيث إنهُ يعتمد الفنتازيا على غير ما هو موجود عند الأصوات الشعرية الحالية، وهذا ما ميز نص صابرين عن باقي النصوص».

واختتم شوقي حديثه بالحديث عن القصيدة التي ألقاها الشاعر عمرو محمد عقيل.

بعدها فُتح باب المداخلات، في الفعالية التي حضرها رئيس الاتحاد الدكتور جنيد محمد الجنيد وعدد من المثقفين والأدباء، وبدأها رئيس اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع عدن الأستاذ نجمي عبد الحمدي بالقول إن: «ما يميز هذه الفعالية استخدام المفردة، أي لا توجد في الإبداع مفردة إبداعية ومفردة لا إبداعية».

وأضاف: «قرأت لتوفيق الحكيم في كتابه (نائب في الأرياف)، حيث يقول «جلست في منطقة زراعية بقُرى من قرى مصر، وهناك فلاحة لم تتعلم ولم تذهب للمدرسة، وتقول لزوجها: أنت جرحت إحساسي!»، فلفتت انتباه هذه الجملة، والتقطها توفيق الحكيم، وعرف أن بالمفردات العامية الكثير من المعاني الإنسانية العظيمة، والدليل أن أجمل الأغاني ما كُتب بالمفردات العامية».

وتابع: «المبدع من يستطيع أن يحول هذه الجملة العامية إلى حالة إبداعية».

واستطرد: « أعتقد أن النص الإبداعي إذا دخل في لغة القواميس الجامدة يمكن أن يُحاصر أو يُقتل، لكن مع ذلك عندما نقرأ للمتنبي نقرأه بلغة عصره، وعندما نقرأ لامرئ القيس نقرؤه بعصره».

وأختتم نجمي حديثه بالتأكيد على أننا بحاجة إلى «استخدام مفردات حديثة بسيطة في عصرنا الحالي».

من جانبه، قال نائب رئيس اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع عدن الدكتور يحيى شايف الشعيبي إن: «الشعر ما أشعرك، والفرق بين لغة الشاعر ولغة الناقد هي التي تميز بين الحالتين؛ فمهمة الشاعر هي التأثير وليس الإقناع، ولغة الناقد لغة علمية بخلاف لغة الشاعر الإنشائية «.

وأضاف: «الشعر هو الذي يؤثر في المتلقي ويأسره ويهيمن عليه حتى وإن لم يفهم معناه ، فعندما تسمع شعرًا لا تتأثر به تشعر أن هناك خلل في عملية الإبداع».

وتابع: «حقيقةً ما سمعته من جميع الشعراء كان جميلًا، وكنت أتمنى لو تنشر هذه القصائد في الصحف والمواقع الألكترونية كي يتسنى تقييمها «.

وأشار الشعيبي إلى أنه كان «من الأفضل أن يكون عنوان الفعالية «قراءة تقييميه للنص الحداثي الجنوبي».

وأكد أنهُ من «الضروري الاهتمام بشعر شعراء الجنوب القدامى والشباب، وتناولها في الأطروحات العلمية ورسائل الماجستير، وذلك بعد التغييب الفظيع للنص الجنوبي بشكل عام، وهذه مهمتنا جميعًا».

وتحدث الشعيبي عن أهمية الاهتمام بالمعنى الذي يتكون من ثلاثة أنواع، وعن ضرورة التمييز بين نص اتحاد أدباء وكتاب الجنوب ونص اتحاد أدباء وكتاب اليمن، لذا لا بد أن تكون هناك رؤية ثاقبة من المثقف الجنوبي .

وقال:» أما «قصيدة النثر؛ فإنها تنتمي إلى مرحلة ما بعد الحداثة المنطلقة من فلسفة التفكيك لدريدا، ولهذا انتجت معاني متعددة بل تجاوزت ذلك إلى اللا معنى، وكل ذلك بفعل انطلاقتها من الفلسفة النسبية المؤمنة بالحقيقة (المتعددة ، المتغيرة ، المجزأة) ولهذا اتسمت بالتكثيف والمجانية والإيجاز والشفافية».

وأضاف:» ولأنها كذلك؛ فقد غادرت مربع الإيقاع الخارجي إلى مربع الإيقاع الروحي، كما هيمنت المفردة على النص عندما حلت محل الجملة كما اتسمت قصيدة النثر بفقدان أدوات الربط النحوية وحتى تختلط المفردات ببعضها دون حواجز فيما بينها وهو ما يتناسب مع الرؤية المجزّأة المتعددة لمرجعيتها الفلسفية.

أما صورها فقد أتت مجزاة ومبعثرة وعبثية».

واختتم الشعيبي مداخلته بالقول:» لهذا أنصح شعراء (قصيدة النثر) الشباب بثلاثة أمور مهمة؛ هي (قراءة الفلسفة ولاسيما الفلسفة التفكيكية؛ لأن قصيدة النثر تعتمد على الرؤية العميقة، وقراءة خصائص قصيدة النثر وكيف طبق الشعراء الكبار هذه الخصائص في نماذجهم الشعرية، إلى جانب المشروع السياسي الجنوبي الذي ينبغي أن يكون حاضرا وبقوة في القصيدة النثرية واسعة الأفق كونه هو المستهدف الأساسيّ في النص الأدبي لاتحاد أدباء الجنوب».

وفي ختام المداخلات، التي شهدت شراسة وتباينات عديدة من قبل المتداخلين حول قصيدة النثر، أكد الأمين العام لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب الأستاذ بدر العرابي إن: «الحديث عن قصيدة النثر في اتحاد أدباء وكتاب الجنوب في عدن يسجل سبقًا ثقافيًا ونقديًا — إذا ما حاولنا أن نبعثر التراث النثري الأدبي، ونقف عند نقطة انقطاع فعالية النقد الأدبي العربي، وفعالية النظيرة الأدبية العربية وفعالية التجنيس التي انبثقت — بفعل الإشكالية في الأدب العربي — فاستمرت إلى الآن ونحن نجني نتائجها، انبثقت عند ظهور قصيدة النثر».

وأضاف: « أضع علامة استفهام على مصطلح «قصيدة النثر»، لأن قصيدة النثر مهرب من أحد التيارات التي تحاول اتهام القصيدة الحديثة العربية بالنثرية، أي : تحاول تلغيها من الصفة الشعرية، وهي نتائج عن صراع نقدي كان موجد بين التيارات العربية».

وتابع: «قصيدة النثر في الوطن العربي تم إحباطها نظريًا أو نقديًا قبل أن تبدأ، ولم يتفق النقاد على مرجعية معينة أو معايير معينة لها حتى اليوم».

وأشار العرابي إلى أن أسباب ذلك «تعود إلى أربعة عوام؛هي: تعويم قصيدة النثر وعدم ظهورها إلى المشهد، وإيقاف النظرية العربية والتفاعل النقدي مع النص الأدبي، بالإضافة إلى دخول إطارات مختلفة تحاول تغيب المد الطبيعي للقصيدة العربية إلى أن وصلت إلى قصيدة النثر».

واستطرد: «هناك من اعتقد أن قصيدة النثر، هي المعيار الأساسي؛ لأن أكتب القصيدة الجديدة، أي ترك الإيقاع، فأصبحت أي كتابة غير إيقاعية وموسيقية تسمى قصيدة نثر، وبالتالي انتهزوا الفرصة من لا يمتلكون القدرة الشعرية».

واختتم العرابي حديثه بالقول إن: «ذهنية الإنسان، أو ذهنية الأمم، هي التي تمخض التحول؛ فالذهنية متطورة، والفكر العربي مر بمراحل كثيرة، وكل مرحلة مر بها تمخض شكلٌ من أشكال القصيدة، أي: عَمِلَ تجديدًا في شكل القصيدة؛ إذ أن التحَول والتجديد لا يمكن أن تتعسفه من حيث إنك مبدع؛ لكن يأتي بطريقة بيولوجية من داخل التطور الذهني إلى أن أنتجت شكلًا معينًا...».